

أساسيات الدولة الفيدرالية المعاصرة

دراسة مقارنة

الدكتور
فلاح إسماعيل حاجم

المقدمة

اصبحت موضوعة الفيدرالية واحدة من القضايات الأكثر إثارة في الحياة السياسية للكثير من المتابعين للتحولات في خارطة السياسة الدولية خلال القرنين الماضيين. سيلاحظ بجلاء فتوحها الألف لحام من الشك البسيط للدولة إلى شذوكلها الآخر الأكثر تعقيداً، وهو الفيدرالية. وإذا كان هذا التوجهاً لبعض البلدان من الرغبة في التكاملات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فإنه بالنسبة لبلدان أخرى، وخصوصاً تلك التي عانت من آثارها، يأتي بدافع الرغبة في تنظيم العلاقة بين المكونات الأثنية والدينية والطائفية، وحتى الثقافية واللغوية (كل الذي يتيح تلك الأثنيات التكامل من جهة، والحفاظ على خصوصيتها، من جهة أخرى).

وإذا أخذنا خارطة العجاسوية لبلد المصالح للدراسة والبدايات فاندنا سنرصد زيادة عدد البلدان الفيدرالية، وخصوصاً خلال القرنين المنصرين (XX) الذي (XX1).¹ ففي حين كان عدد البلدان التي اتخذت من الفيدرالية شكلاً للدولة فقط خلال القرن التاسع عشر ثلثاً (X4) ددها إلى أكثر من نصف القرن الماضي، إلا أن رغم ملاحظة نكوص عن هذا الاتجاه في بعض الأحيان، فقد تحولت جمهوريات جنوب أفريقيا إلى جمهورية، وكذلك بعض الولايات التي أنشأت على يد الدول الاسعمارية مثل ليبيريا واندونيسيا والكاميرون... وغيرها. وفي ذات الفترة (القرن الماضي) سجل انهيار بعض الدول الفيدرالية مثل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، بالاضافة إلى الفيدراليات الشارقة أوسطية قصيرة العمر (اتحاد مصر وسوريا).

ويوجد في الوقت الحاضر ٢٨ دولة فيدرالية موزعة بالشكل التالي:

ست في أوروبا هي: النمسا، بلجيكا، البوسنة والهرسك، ألمانيا، روسيا، سويسرا.

سبع في آسيا هي: ماليزيا، الهند، باكستان، الإمارات العربية المتحدة، النيبال، ميانمار، العراق.

سبع في أمريكا هي: الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل، المكسيك، الأرجنتين، فنزويلا، كندا،

سينت كريستوفر ونيفيز.

¹ تشيركين، القانون الدستوري المقارن. دار نشر يوريسبرودينتسيا. موسكو ٢٠١١. ص ١٩٥ (باللغة الروسية).

خمس في أفريقيا وهي: نيجيريا، أثيوبيا، تنزانيا، اتحاد جزر القمر، السودان.
ثلاث في المحيط هي: استراليا، بابوا وغيانيا الجديدة، ولايات ميكرونيزيا الفيدرالية (كانت تحت
وصاية الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها الآن دولة عضو في الأمم المتحدة).

ويشيد بـ وروث البلدان التي اتخذت من الفيدرالية للقوة كالأفضل في كل الفيدرالي
وازداد به، أو أخف باق التجربة وانهدى الفيدرالية مرتبط بعوامل أخرى ملازمة للدولة كمثلما
للدولة أركان ثلاثة لا يمكن أن تستقيم بدونها أية دولة هي الشعب والارض (الإقليم) والسد لطات
العامة، فأن لها عناصر ثلاثة أيضاً هي: شاكلتها (كلها) يطأ أو في دولتي كل الحكم فيها، وكذلك
نظامها السياسي الديمقراطي أو غير ديمقراطي. هذه العناصر الثلاثة مترابطة ويؤثر
بعضها على البعض الآخر فمثلاً لا يمكن بناء فيدرالية في ظل الحكم الملكي المطلق، لا يمكن
التعويل على ديمومة واستمرارية الدولة الفيدرالية في ظل أنظمة الحكم الشمولية وأنظمة الحزب
الواحد.

إلا ذلك إذا لم يمدد المصداق لدية وهي الدساتير والتشريعات الأخري،
مستفيدين من خبرة عشق فريبي تصاميم مادة القانون الدستوري في الجامعات والمعاهد
الروسية المتخصصة.

مما هي أهمية البحث في أن البحث في موضوع وعادة كل الدولة الفيدرالية يكتسب أهمية
كبيرة سواء من الناحية النظرية، حيث تنشغل مراكز الأبحاث والمعاهد المتخصصة، وكذلك
الأكاديميون والمتخصصون في السياسة والقانون بدراسة وتطويع وروث الاندماج النظري
حول الفيدرالية بهدف صياغة قواعد جديدة لتنظيم العلاقات الاجتماعية والبحث عن المشركات
بين مختلف الأثنيات التي تتقاسم العيش في مناطق جغرافية واحدة.
وتبدو أهمية البحث مضاعفة بالنسبة للدولة العراقية، التي ما تزال تعاني من صعوبات مخاضها
العسير للانتقال من نظام الحكم الشمولي وشكل الدولة شديد المركزية، إلى نظام حكم ديمقراطي
لجميع مكونات الشعب العراقي الأثنية مكانية العيش المشرك، مع الحفاظ على
الموروث الثقافي لكل منها.

نعقد ان ما اكتسب من الفيدرالية لحد الان وما ان وقش حولها الا يولد فسوى الذر القليل من
الموروث الغزير الذي خلفته تجربة البلدان التي اتخذت من الفيدرالية شكلاً للدولة، والتي تؤلف
الاقطاب الاكثر اهمية على خارطة السياسة لعالمنا المعاصر.

منهج البحث:

اعتمدنا في إعداد بحثنا هذا أسلوب الدراسة التحليلية المقارنة بين مختلف التجارب المعروفة في
بناء الشكليات الفيدرالية للدول. تعاقب مجموعته هائل من المصادر باللغتين العربية
والروسية ودستائر مختلف البلدان الفيدرالية وقوانينها ذات العلاقة إلى ذلك تم
الرجوع خلال اعداد البحث الى الموروث التاريخي للدول والمجتمعات البشرية في مجال تنظيم
العلاقة بين الأثنيات المختلفة المتعايشة في محيط جغرافي مشترك.